قداس الأحد الثالث من الصوم (أحد الصليب الكريم)
في كنيسة بشارة السيدة
في ٧ نيسان ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، اليوم نكرّم الصليب المقدس ونؤكد بأننا نحن ذاهبين إليه لكي نُصلب مع المسيح ولكي نقوم معه. في الصوم يتعب الإنسان، جسده يتعب، لا بل يتعب من التجارب التي تهجم عليه، لأن الشيطان لا يتركنا للقداسة. اليوم نحن نريد أن نقول بأن الصليب هو علامتنا وفخرنا، لأن آلامنا هي مباركة إذا كانت هذه الآلام برضى الله وإن كنا نتألم لأننا نعيش حياتاً مسيحيةً إلهيةً.

ما معنى القول: من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني. أفهم يا أحبة بأن الرب أراد أن يقول بأن عليك أن تكفر بإرادتك. أريد أن أفهم هنا بالنفس، تلك التي أعيها في داخلي وأنا أعي ماذا أريد أن أفعل وماذا لا أريد. كلنا يعرف ماذا يريد أن يفعل وماذا لا يريد أن يفعل. فهنا الرب يسوع يقول: أريدك أن تجعل إرادتك إرادتي. نحن نصلي أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأتي ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. في هذه الصلاة الربيّة، نحن نؤكد هذا القول أي نحن نردد ما علمنا إياه يسوع ونسأله أن يجعل إرادتنا إرادته، مشيئتنا مشيئته لأن الإنسان في البدء خُلق ليفعل أفعال الله، ليفرح بحضور الله، ليسمع لأقوال الله، ليتصرّف بمشيئة الله.

ولكنه عندما أراد أن يتصرف بحسب هواه، ضلّ وضاع وتشتّت وابتعد عن الله، لأن الإرادة تأتي بنا إلى الله والإرادة تأخذنا عن الله. وعندما ابتعدنا عن الله وأتينا إلى محدوديتنا، إلى ضعفنا، إلى جهلنا، أصبحنا في الموت. فإرادتنا الحقيقية الأصلية هي إرادة مباركة إلهية ولكننا عندما ابتعدنا عن الله أي عندما وضعنا نظرنا في مكان آخر، عندما التفتنا إلى جهة أخرى، أصبحنا نتجه إلى الهلاك، إلى الموت، لأن كل مكان نتجه إليه، لا يسكنه الله هو موطن هلاك بالنسبة لنا. فأصبحت إرادتنا، إرادة المنحدرين من آدم، تتحرك بالخطيئة، بالشهوة، بالهوى، تتحرك باللذة. وهذه كانت تأخذنا إلى حيث لا تريد أعماقنا وإلى مكان بالفعل لا نشتهيه، لأن كل هذه اللذات مهما وجدناها جميلة ولذيذة وطيبة حتى لو وجدناها بريئة وكانت تأخذنا عن طريق الرب فهي شريرة، باطلة. كل شيء لا يأخذك إلى الله، يأخذك إلى مكان لا تجد فيه حياةً.

آدم يا أحبة، التفت إلى نفسه. اليوم يسوع أتى إلينا وقال: أنا آتٍ إليكم لأعلمكم من جديد كيف تنظرون إلى الله، كيف تلتفتون إلى الله لأنكم في معظم أوقاتكم لا بل ربما في كلها لا تلتفتون إلى الله بل إلى ما تشتهون وإلى ما تريدون. المسيح أتى اليوم ليقول لنا: أنا أريد أن أعلمكم أن تلتفتوا إلى الله أي أن تفعلوا إرادته، أن تفعلوا مشيئته. كلّ منا بلا شك يعرف ماذا يجب أن يفعل ولكنه يتعلل بعلل شتّى سمّاها داوود بعلل الخطايا لكي لا نتجه نحو الله.

آدم الأول لم يلتفت إلى الله بل إلى كل ثمرة باطلة، لكن المسيح التفت إلى الله وإلى مشيئته حتى كإنسان والإنسان يخاف من الألم ومن الموت. عندما وصل إلى تلك الساعة التي فيها يُصلب قال: نجني يا أبت من هذه الساعة، أبعد عني هذه الكأس. كان يتكلم أمراً طبيعياً ولكن هذه الطبيعة قد شوّهت بالموت أي لأن الرب لبس جسدنا، هذا الجسد الذي دخل به الخوف والموت وكل شرّ. ولأنه لبس جسدنا وأراد أن يختبر كما قالت الرسالة. ضعوفاتنا ما عدا الخطيئة، أي اختبر الجوع والعطش والنعس والتعب والخوف من الموت. أبعد عني هذه الكأس. نجني من هذه الساعة ولكن يا أبت أنا أتيت لأفعل مشيئتك ولكي أعلّم كل إنسان كيف يفعل مشيئتك لكي يخلُص لأن من يفعل مشيئتك يتأله.

وجهنا يا أحبة، قلّما يلتفت إلى أيقونة الله، في وجه الإنسان وفي أيقونة القديسين. الناس يتحججون بحجج شتّى لكي يفعلون الشر ولكي لا يتجهون إلى الصلاة. وجه المسيح كان يتجه نحو وجه الله. فالصليب هو أن نجعل مشيئتنا المشوّهة إرادتنا الملطخة، أن تصبح مشيئة إلهية، مشيئة طبيعية كما كنا في البدء، كما خلق الله طبيعتنا في البدء. إذاً أن نُخضع مشيئتنا لمشيئة الله. يقول يسوع: الصليب هو أن تصلب مشيئتك الخاطئة لكي تصبح مشيئة مؤلهة. وهذا يحصل في الطاعة. ليس بالقهر. من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويتبعني.

إذاً الصليب هو أن أطيع الرب. أن أفعل مشيئته. أن أسعده. أن يفرح الرب بي. ولكن أنا أتعلم الطاعة من المسيح لأن طاعتي وإرادتي قد تكون بشرية أي ليست بنقية أو صافية. تعلمت إذا كنت في بيئة ليست نظيفة، كذلك ضميري ونفسي. لهذا السبب معلمي هو الرب يسوع، هو من يعلمني الطاعة، له أسمع وبه أتشبّه، هو قدوتي وحياتي أي كيف أريد حياتي أن تكون أراها في المسيح يسوع. عندما أنا أصبح مطيعاً لله، يصبح المسيح فيّ وأنا فيه أي المسيح يصبح كل شيء. عندما أتصرّف تصرّف المسيح، عندما أتعلم حياته حينئذ المسيح يصبح فيّ كل شيء. يقول بولس الرسول: مهما يكن لكم من قول أو من فعل فليكن باسم المسيح، باسم الرب يسوع.

يا أحبة، بولس الرسول يقول لنا في رسالته إلى أهل أفسس في الإصحاح الخامس وإلى أهل كولوسي في الإصحاح الثالث: يقول للمؤمنين: اهتموا بالأمور التي في السماء لا بالأمور التي على الأرض. نحن كل اهتماماتنا بالأرض، لأنكم أنتم المؤمنين متتم. أنا عندما

أردت أن أكون مع المسيح، أردت الموت عن هذه الدنيا. أنتم متتم لكن حياتي أصبحت مستترة مع المسيح. أنا عندما أصبحت أتصرف مثل المسيح، صارت حياتي بالمسيح. أنتم أيها المؤمنون قد متتم وحياتكم مستترة مع المسيح، حياتكم صارت ملتصقة بالمسيح. فعندما تأتي القيامة، نحن نقوم لأن المسيح قد قام. عندما يظهر المسيح، نظهر معه لأننا نحن فيه وهو فينا. عندما قال: أميت ما هو أرضي، اهتموا ما هو في السماء. قصد بهذا بولس الرسول بأن نقبر ما هو أرضي كالزنى، الفسق، الهوى والشهوة الرديئة، الفجور، الغضب، الانتقام، الخبث، الشتائم. لا تتلفظوا بالكلام البذيء. المسيحي لا ينطق بكلام بذيء أنه لا يمكنك الصلاة وترنّم وتكون في نفس الفم تشتم. لا يمكنك تقديم ذبيحة على المذبح وفي نفس الوقت تدنّس هذا المذبح. فمك مذبح، كذلك قلبك. لهذا الإنسان الذي يسبّ ولو كان يضحك ويمزح، كلام المؤمن هو كلام مقدس.

لا يكذب بعضكم على بعض. لا يمكنك الكذب لأنكم خلعتم الإنسان القديم، إنسان الخطيئة الإرادة القديمة ولبستم الإنسان الجديد، لبستم المسيح، الإرادة الجديدة التي هي إرادة الله. أنتم الذين اختاركم الله، قدّسكم الله، صرتم مقدسين، أحبكم الله. إذاً، إذا كنتم ملتفين ملفوفين بمحبة الله وبقداسة الله يجب أن تظهر الرحمة من قلوبكم، الحنان من حياتكم، التواضع والوداعة والصبر، احتملوا بعضكم بعضاً وليسامح بعضكم بعضاً كما سامحكم الرب، فوق كل هذه الأمور البسوا المحبة التي هي تاج الكمال. من أحبّ إنسان لا يخطئ. المحب هو الإنسان الذي يُظهر لنا وجه الله. إذا فعلتم هذا يا أحبة، ينبت في قلوبكم سلام الله. إذا كنتم من هذا النوع من البشر، سلام الله يستقرّ في قلوبكم ويجعلكم الله حاملينه وشاكرينه في كل حين.

في النهاية، الصليب هو أن نعيش كما قال بولس الرسول. صعب، هذا هو الصليب، لكن يهين الصليب إذا أنا أحببت المسيح وأردت أن أكون له تلميذاً وحبيباً. إذاً الصليب ليس بكبره أو صغره على الصدر ولا إذا كان ذهب أم ألماس، الصليب هو أن يرى الإنسان الآخر وجه المسيح في وجهي، أن يرى تصرفي تصرفاً يختلف عن البشر الآخرين. الصليب هو أن تقول يا رب أعنّي، إني أؤمن ولكن أعن عدم إيماني وضعفي، والله يعين، الله معنا. لقد ولد لنا صبي هو المسيح الذي اسمه عمانوئيل أي الله معنا. فالله معكم. آمين.